فقيد الحرم وواعظه

استيقظت قبيل الفجر وإذا برسالة واتصال من أخي وصديقي ؛ لقد توفي والدي رحمه الله قبل قليل .

توجهت بعد طلوع الشمس إلى مغسلة الأموات ، وتدور في ذهني أجمل السير والذكريات ، تسابقني قدمي وتختلج الذكريات والعبرات في عيوني وخيالي، وصلت وإذا بأولاد الشيخ وبعض طلابه الأوفياء البررة أمامي ، انتظرنا قليلاً حتى أذن لنا بالدخول عليه ، للسلام عليه وتوديعه ، فقبلت رأسه وجبينه الطاهر الزاكي .

ودّع الحرم و مكة ..لا بل ودع العالم اليوم عالماً من علمائه وفقيهاً من فقهائه العالم المبجل والقاضي الفقيه والمفسر الفرضي . الشيخ عبدالرحمن العجلان ..

كأنّ بني عجلان يوم وفاته نجومُ سماء خرّ من بينها البدر

تسابق الناس من مكي وآفاقي ، ازدلف الناس من بدو ومن حضر .

توجهوا إلى المسجد الحرام ليودعوا الشيخ ، انسكبت العبرات ، حزنت القلوب ، وإنا على فراقه لمحزونون .

قدم العلماء وأئمة الحرم والدعاة وطلابه ومحبيه والكبار والصغار لتوديع العالم الجليل والفقيه العابد.

فلتَبك جدرانُ بيت اللهِ مَجْلِسهُ الزاهـدُ العـابدُ المخمومُ عَجـلانُ

أسقى بعلمٍ لهُ، الأَسماعَ في حَرمٍ وسالَ مِن فضلهِ في الخَلقِ ريانُ

مضى فقيدُ الحجازِ صَوبَ بارئهِ واهتزَّ من بعدهِ في القَلبِ أركانُ

لمثلهِ تَغرقُ الأجفانُ دامِعة ويصدَع الأمرُ بينَ الناسِ والشَّانُ

دها المِسامِعَ موتُ الشيخ وآأسفاً عليهِ مِن ربِّنا فَيضٌ وغُفرانُ

❄ ها هو المسجد الحرام يودعه بعد ملازمة دامت ٣٥ سنة ..!!

❄ ها هي جنبات المسجد الحرام وأروقته تفقد صوته !!

❄ سيفقد الطلاب شيخهم وأستاذهم بعد ٣٥عاماً .أي فقد أعظم ..!!

❄ صبراً صبراً فقدوا جسده وروحه ولكن لم يفقدوا علمه وتوجيهه ..

وهكذا أهل العلم يبقى ذكرهم مادام علمهم في العالمين يذاع وينشر .

❄ دخلت عصر هذا اليوم إلى المسجد الحرام وإذا أحد العمال دعاني ومعه مجموعة من العمال ينظرون إلى صورة الشيخ في جوالاتهم ويقولون هذا الشيخ مات اليوم فقلت نعم فجلسوا متأثرين يدعون له.

❄ هاهم الناس يتناقلون علمه وينشرون ميراثه ..لم يمت ذكر من خلف علماً وميراث النبوة، والذكر بعد الموت ذكر ثاني .

لعمرك مالرزية فقد مال ولا شاة تموت ولا بعير

ولكن الرزية فقد شهم يموت بموته بشر كثير

🔮 نقف سوياً على شذرات من عبق سيرته وجمال مسيرته ، ليهتدي الجيل مسيرته من تلك السيرة .

◆عمله القضائي :

كان قاضياً في الإمارات ومكة والقصيم ، متواضعاً حكيماً يغلب الصلح في أحكامه ، كان لطيفاً ودوداً رحيماً ، بابه مفتوح للناس ، على طريقة قضاة السلف والأوائل منهم .

◆دخلت عليه إبان رئاسته لمحاكم القصيم وأنا طالب في الكلية للسلام عليه فقام من كرسيه ورحب وهلل، ولم أجد بواباً يمنع من الدخول أو يسأل ماذا تريد أو انتظر!! ثم زرته مرة في مسجده أنا واثنان من زملائي في الكلية فكان أباً مربياً ومعلماً موجهاً غيوراً على دين الله .

◆انتقل قاضياً في دولة الإمارات ، يتعاهده أهلها ويتعاهدهم كان هو الأب والمفتي والداعية والمربي والمعلم والقاضي ، كان ماء عذباً زلالاً سقى الله به أهلها بالعلم والدعوة والقضاء ، غرس في قلوبهم حب الخير والتناصح والتعاون على الخير ، فكان غرساً وثمراً طيباً مباركاً ، يؤتي أكله كل حين بإذن ربه ، مشاهد في الدنيا ، والناس شهداء الله في أرضه ، وقدم اليوم ورحل ليرى أثر ذلك الغرس الطيب المبارك عند أكرم الأكرمين ولن يضيع الله أجر من أحسن عملاً ، والمؤمن كالغيث أينما وقع نفع .

◆علمه :

كان متفنناً في العلم على طريقة القدامى من العلماء : فقيهاً من فقهاء الحنابلة وفرضياً ولغوياً ومفسراً وواعظاً ،قام بتفسير القرآن مرتين وشرح الكافي لابن قدامة وغيرها من

الكتب ، تتلمذ على يديه العشرات من طلاب العلم ، تميز بالفقه والتفسير والفرائض ، جل وقته في مكتبته وبين كتبه ، يقصد الناس درسه على مختلف أعمارهم وثقافتهم.

◆ مهاراته :

كان حازماً في إدارته وحياته، منظماً في حياته وقتاً وترتيباً ، له في حياته قوانين يصير عليها منذ عرف ، يعرف ذلك من عاشره وزامله .

◆ علاقاته :

كان محبوباً لدى الجميع ومحل احترام وتقدير من الناس كافة وولاة الأمر ، لا يمل حديثه ، سليم الصدر ، صافي السريرة وحميد السيرة ، لا تكاد تسمع منه كلمة تجرح أو تعاب ، نحسبه على خير والتزكية لله .

◆ عبادته :

◆ منذ صغره وقد عهد عنه حب العبادة والتنسك ، كثير الذكر لله ، مقبلاً على أمر آخرته ، تاركاً كثيراً من أمر الدنيا ، يغلب الأخذ بالاحتياط في عبادته والعزيمة في أمره .

◆ معظماً للسنة في أقواله وأفعاله وتعامله وترجيحاته العلمية .

◆ لم يعرف عنه ترك قيام الليل منذ شبابه حتى في سفره ينزل ويصلي ما كتب له من قيام الليل ثم يواصل سفره .

◆ قيامه لليل كان عجباً عجاباً من طول قيامه ، ولما نزل به المرض في أول الأمر زاد قيامه لليل حتى يبلغ في بعض الليالي أربع ساعات .

◆ صيامه كان يكثر من الصيام ومنذ عام واحد وعشرين لما قدم مكة صار يصوم يوماً ويفطر يوماً وجلس على هذه الحال قرابة ١٥ سنة ،فلما مرض صار يصوم الاثنين والخميس وأيام البيض .

◆ قراءته للقرآن يختم كل ثلاث وتقول إحدى زوجته يختم تارة في يومين وتارة في يوم ونصف ، ولما اشتد به المرض تفرغ لقراءة القرآن فكان جل وقته يقرأ القرآن ، لا يكاد يتكلم من المرض ، وإذا قرأ انطلق لسانه بالقرآن كأن لم يكن به مرض وألم .

◆ لم ير إلا مصلياً في الصف الأول يكبر تكبيرة الإحرام بتكبيرة الإمام ، ولم يترك الحج قط.

◆ محباً لمكة والحرم ، معظماً له ، كان يتردد كثيراً من القصيم إلى مكة ، كان سبب تقاعده رغبة في انتقاله لمكة ومجاورة بيته الحرام، لا يحب الخروج من مكة حتى لا تفوته الأجور ولا ينقطع عن الدروس .

◆ **جهوده وأعماله :**

كان محباً للفقراء والمساكين ، ينفق كثيراً من ماله في إطعام الفقراء والمساكين ، يوزع يومياً مكافأة مالية إكراماً لطلابه وحباً لهم ، ومن أغلى ما عنده طلابه ، يتفقدهم ويسأل عنهم ويقضي حاجاتهم حتى في شدة مرضه وانقطاعه عن الدرس مازال يتعاهد الطلبة ، ينصر المظلوم ،ويقف معه بالشفاعة له ، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر بالحكمة ، وقد أوقف كل ماله في سبيل الخير .

◆ محباً للعلم وأهله لا ينزل بلداً ويحل به إلا ودروسه حاضرة بكل نشاط وحيوية دون كسل وعجز وملل ، يعيش العلم مع روحه ودمه ، هو روحه وغذاؤه ، وطعامه

وشرابه ، حتى لما اشتد مرضه لم يتوقف درسه ، وكان يُنصح ألا ينزل الحرم فكان يصر على رأيه ويلقي درسه بصوت متقطع ، وهمته العالية ، وثباته على مبدأ الاستمرار ، كان لا يأخذ إجازة عن درس الحرم حتى يوم العيد ، يقول الطلبة في انتظاري، فكان يغيب فقط يوم عرفة وأيام التشريق، كان له درس في بيته لأهل بيته وأحفاده ، والجود بالعلم من أعظم الجود.

بحرٌ من الجود فياضٌ يموجُ بنا

والناسُ تغرفُ منه وهو مليان

◆ لما مرض وصار يتعبه الصيام والنزول إلى الحرم ، جعل له درساً في الحرم ودرساً في مسجد بجواره حتى لا ينقطع عن دروسه.

أيها العلماء والدعاة والجيل :

◆ سير الرجال مدارس الرجال ، همة سامية وعزيمة ماضية ، ونية بإذن الله صادقة صافية.

◆ أعرض إعراض العقلاء والحكماء عن القيل والقال وضياع الأوقات وتجريح الناس وتصنيفهم والمناكفات وبيع المبادئ وانشغل بالعلم وتعليم الناس ، حافظاً لسانه .

◆ كان عالماً عاملاً بعلمه ، ثابتاً على فتاويه وعلمه ومبادئه طيلة حياته ومسيرته العلمية، لم تزعزعه متغيرات الحياة وضغط الواقع .

◆ كان مدرسة في التواضع والزهد ، وفياً لمن صادقه وآخاه ، يثني على الناس بما فيهم من الخير وينزلهم منازلهم .

◆نموذج في الالتزام بالمواعيد والاستمرار والصبر على التدريس ، أي سمو كهذا وعظمة وهمة كهذه !؟ حبه للعلم والتعليم ، يمشي في عروقه هو أنفاسه وروحه وغداؤه وشرابه .

عودتَ نفسك عادات خُلقتَ لها

صدقُ اللقاء وإنجازُ المواعيد

◆ تحديد الهدف والعيش والتضحية لأجله ، دون مفاسد تعيق الهدف .

◆الغربة عن الأوطان في سبيل نشر العلم والدعوة إلى الله واغتنام الفرص في ذلك والثبات على دين الله وترك التلون والاضطراب في الفكر والمنهج والفتوى .

❁ هذه شذرات وصور مشرقة ذهبية مضيئة كأنها قطعة ترجمة لسيرة من سير أعلام النبلاء، مختصرة من حياته ، خشية الإطالة ، لا توفيه حقه ، محبة ووفاء له وبراً به .

❁ رحمه الله رحمة واسعة ورفعه في درجة المهديين وموتى المسلمين عامة ورزق أهله ومحبيه الصبر والأجر ، وجمعنا به ووالدينا في جنات النعيم وإنا على فراقه لمحزونون .

كتبه: فهد العماري.

الجمعة ٢٥/ ٩/ ١٤٤٢هـ